شامة في وجه القرية

بسّام صالح مهدي

جَدّي هو النهرُ المعطّر بالسحابَهْ
هو كلُّ مَنْ أخْفى بضحكته عذابَهْ
كلُّ اليشاميغِ التي أسميتُها صبحًا وغابَهْ.
هو شامةٌ في وجهِ قريته
وعنوانُ الجنوب.
هو نصفُ حزنٍ،
نصفُ أغنيةٍ،
وموّالٌ على قصبٍ بعيدْ
يبكي إذا بكت الربابَهْ.

❖ ❖

متوغّلٌ في بيتِ شِعْرٍ،
تلمعُ الكلماتُ بين شفاهه،
وله مراثي كلِّ مَنْ فاضوا
ومَنَ لم يتركوا أثراً سواه،
ومضى لأكبرِ مأتمٍ في الأرضِ
يَزْرعُ دمعةً
بين الضحايا.
ومَشَتْ خطاهُ على ضميري
واختفى خلفَ اكتهالِ الصوت،
خلفَ أنوثةِ امرأةٍ
لها لونُ الشظايا.
جدّي هو اللحنُ المسافرُ
حينَ كانت جدّتي
وجعًا ونايا.
لم يبتسم أبداً لشمسِ الغير، قالَ:
الشمسُ فوقَ بلادنا
تَهَبُ الهدايا!
وتَعلّمَ الزيتونُ أنْ يرفو بذاكرتي ملايينَ الوصايا.
أنا مَنْ يسافرُ خلف وجهكَ
كاشفًا عمَّنْ تُلثّمُهُ النوايا
وأنا المكسَّرُ بالحنين، أنا المطرَّزُ بالرزايا،
وأنا الملثَّمُ بالهلالِ على ينابيعِ العطايا
وفمي تثلّمَ بالنعوتِ
وأخفقتْ عيناي
واصطفَّ البكاءُ على البقايا.
لا مسجدٌ في الأرضِ يَعْرفُ ما صَلاتي
لا تسابيحي لها أسماؤها.
وجهي كمئذنةٍ تصلّي
حين تسجدُ،
تَسْكُبُ البيضَ المخبَّأَ في المرايا.
لا ظلَّ للكلماتِ في معنى
يرفرفُ كالحمامةِ قربَ مئذنتي
وللكلماتُ أمطارٌ
لها أعشاشُها
ولي الزوايا!
مذ كان جدّي مشطَ نخلٍ
كان في التمرِ التماعُ الأغنيهْ.
مذ كان، كان الشعرُ أقسى أمنيهْ.

❖ ❖

لا إرثَ لي إلاّك.
أنتَ الآن
ذاكرتي ومملكتي القديمهْ،
وأنا الحزينُ على اصطيادِ الحزنِ
في أوكاره.
أنا مَنْ يلمّ الريشَ من أقصى المنايا
أنا مَنْ يلمّ الريشَ من حزنِ الكراكي
والقطا ومَنَ السبايا.
كم شاءَ جدّي أن يعلّمني اصطيادَ الطيرِ؛
لم تَعْلقْ بمهنته يدي أبداً
وما تبعتهُ في درب: خطايا!

بغداد